

«المعاصرون» للأستاذ محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م) والمدرسة الريحانية

بقلم د. مازن المبارك(*)

أصدر مجمع اللغة العربية الطبعة الأولى لكتاب «المعاصرون» محققة سنة ١٩٨٠م أي بعد وفاة المؤلف بسبع وعشرين سنة، وصدرت الطبعة الثانية عن دار صادر سنة ١٩٩٣م، ثم أصدر المجمع طبعة جديدة مراجعة سنة ٢٠١١م. وهكذا تكون الطبعة الثالثة ظهرت بعد وفاة المؤلف بثمان وخمسين سنة؛ فلا يجدهنك ما كتب على غلافها المحلّ بقول الناشرين: «عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي!!» لأن الأستاذ كرد علي مات كما رأينا قبل أكثر من نصف قرن، وترك كتابه أوراقاً مبعثرة ومسودات غير منسقة، لم يُعدّه ولم يتركه جاهزاً للنشر، كما ذكر رئيس المجمع الدكتور حسني سبوح حين حدثنا عن نشر المجمع للكتاب في مقدمته!! وإذا لم يكشف لك هذه الحقيقة حساب السنوات بين سنة وفاة المؤلف وسنة إصدار الكتاب، فإن أبلغ من ذلك في الدلالة على الحقيقة وعلى الواقع أن المقدمة التي كتبها للكتاب رئيس المجمع الدكتور حسني سبوح جاء فيها أن نجل المؤلف قدّم

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

للمجمع بعد الاحتفال بمرور مئة عام على ميلاد الأستاذ كرد علي «ظرفاً أصابه بأخرة في مخلفات والده، كتب عليه بخطه «المعاصرون» وهو يشتمل على أوراق شتى تبين أنها أصول كتاب لم يفرغ الأستاذ من تنقيحه...» ويصف تلك الأوراق فيقول: «إن بعضها نشر في بعض الصحف والمجلات فاقتطعه منها، ومنها ما طبع بالآلة الكاتبة، إلا أن أكثرها كان مسودات بخطه، وكان قد أعاد النظر في بعضها فألحق بها ما ألحق، وأصلح منها ما أصلح بقلم الرصاص تارة، وبالحرير تارة. ولما كان الظفر بمثل هذا الكتاب - وإن كان جُلّه مسودات لم تنقح - غنماً للمعنيين بتاريخ النهضة العربية وأعلامها، حرصنا على إخراجه للناس، ورغبنا إلى بعض الأساتذة أن ينظر في هذه الأصول ويعدّ الكتاب للطبع. ولكنّه ردّه إلينا بعد أشهر من تكليفه معتذراً بأن أعماله الكثيرة حالت بينه وبين إعداد الكتاب على النحو الذي ينبغي له» أي إن الأستاذ الذي كلّفه المجمع أدرك حقيقة المسؤولية التي يجب عليه القيام بها إذا قبل التكليف وأنه أدرك ما ينبغي أن يتفرغ له من عمل في مراجعة الكتاب وإعداده للنشر، لذلك اعتذر، فكلّف المجمع رجلاً آخر قام بالعمل وراجع الكتاب وأصدر الطبعة الأولى.

ثم لما عزم المجمع على إصدار طبعة جديدة كلف مراجعاً آخر قام بالعمل، وجاء على غلاف الكتاب الصادر عام ٢٠١١ أنه عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، فكيف يكون ذلك والأستاذ كرد علي مات منذ ثمان وخمسين سنة وترك كتابه بين أيدي المجمعين - كما وصف رئيس المجمع - أوراقاً مسودة على النحو الذي مرّ ذكره؟! لم ينشره ولم يحققه بل لم ينته من النظر فيه وما زال أكثره مسودات!! أفيقال عن ذلك كله إنه نشر وإنه تحقيق؟! وهل يجوز أن يُحمل ما في الكتاب كله على المؤلف الذي مضى إلى ربّه؟!!

لقد وقعت في الكتاب أغلاط ضقت عن حصرها، وغلبني أمرها، فتركها ولكنني وقفت عند واحدة منها لم تسمح النفس بإهمالها أو السكوت عنها، فأردت المبادرة إلى تصحيحها وإعلانها، وهي حاشية ظالمة تطمس حقيقة، وتُكرِّرها في طبعات الكتاب المحقّقة والمراجعة، ولكن ليس من المؤلف كما جاء على غلاف الكتاب، وإنما من المحقّقين والمراجعين!

جاء في ترجمة الشيخ محمد المبارك التي أوردها الأستاذ كرد علي قوله عن شيخه المبارك إنه «أنشأ مدرسة ابتدائية في قرية الريحانية...»^(١) وعلّق المحقّق على ذلك بقوله في الحاشية^(٢): «الأصل: في مدرسة الريحانية، وهو سبق قلم. والريحانية في ظاهر دمشق من الناحية الجنوبية قرب القدم» وترك المراجع هذه الحاشية على حالها في الطبعة الجديدة، وذلك يعني أن الأستاذ كرد علي سها قلمه! وكان يجب أن يقول «في قرية الريحانية» كما أثبت المحقّق لا «في مدرسة الريحانية» كما قال كرد علي في أصل كتابه، وهذا وهم من المحقّق وما قاله المؤلف هو الصحيح.

فالشيخ المبارك أنشأ مدرسة ابتدائية في المدرسة الريحانية لا في قرية الريحانية كما توهم المحقّق فصحّح واضعاً الخطأ في محل الصحيح والغلط بدل الصواب!

- والريحانية مدرسة قديمة أنشأها جمال الدين ریحان بن عبد الله، خادم نور الدين زنكي، وعرف بالطواشي، وتولّى قلعة دمشق وتوفي سنة ٦٩٥ هـ وتقع المدرسة الريحانية بجوار المدرسة النورية - التي بناها نور الدين زنكي - من الجانب الغربي، وأوقفها بانيها على المتفكّهة على مذهب الإمام أبي حنيفة، ووقف لها أوقافاً كثيرة.

(١) «المعاصرون»، ط ٢٠١١، ص ٣٢٧.

(٢) الحاشية (٢) في ص ٣٢٧ من كتاب «المعاصرون».

قال النعيمي في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس»: «المدرسة الريحانية، جوار المدرسة النورية لغرب، منشئها خواجه ریحان الطواشي خادم نور الدين الشهيد محمود بن زكي في سنة خمس وستين وخمسمئة، وقف عليها أوقافاً معلومة...»^(٣).

وقال الشيخ عبد القادر بدران في كتابه «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال»: «وقد تقلبت عليها - أي على الريحانية - الأيام إلى أن استقرت في زمننا هذا مكتباً للأطفال»^(٤)، والشيخ بدران توفي سنة ١٣٤٦هـ و١٩٢٧م.

- وقد ذكر الأستاذ كرد علي في كتابه «غوطة دمشق» بعض ما وقف على المدرسة الريحانية من بساتين غوطة دمشق^(٥).

- وجاء في كتاب «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري» في ترجمة الشيخ محمد المبارك المتوفى سنة ١٣٣٠هـ و١٩١٢م أنه «أنشأ مدرسة ابتدائية في مدرسة الريحانية، انتهجت الطريقة القديمة في التعليم دون أن تعارض العلوم المدنية، وتخرج على يده كثير من الأدباء والبلغاء»^(٦).

(٣) الدارس للنعيمي ص ٥٢٢، وفيه حديث مطول عنها وعمّن وليها من المدرّسين.

(٤) «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» للشيخ عبد القادر بدران، ط ١ في مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١هـ، وط ٢، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٧٩هـ و١٩٦٠م، ص ١٧٢.

(٥) كتاب «غوطة دمشق» لمحمد كرد علي، ص ١٨٨، ط ٣، سنة ١٤٣٢هـ و٢٠١١م.

(٦) «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» لمطبع الحافظ ونزار أباطة ١/٢٧٦،

- وكثيراً ما حدّثنا الأستاذ علي الطنطاوي عن المدرسة الريحانية، وذكر لنا مَنْ عرفه من خريجيها، وقد ذكرها في كتاب «ذكريات» فقال: «وكان عندنا مدارس أوليّة، أشهرها مدرسة الحبال، في أدنى القيصرية، وكانت قديماً للشيخ محمد المبارك، والد شيخنا عبد القادر، وكان ممّن تعلّم فيها أستاذنا محمد كرد علي، والمدرسة الريحانية، والمدرسة السباهية»^(٧).

- وقال الطنطاوي عمّا نحن بصدد الحديث عنه من أوهام المحقّقين والمراجعين: «والمدرسة الريحانية التي ورد ذكرها في كتاب أستاذنا كرد علي رحمه الله «المعاصرون» فندب المجمع أحد الناس للإشراف على طبعه وتصحيحه، فوضع في ذيل الصفحة حاشية تقول إن ذلك سبق قلم من كرد علي، وإنها قرية الريحانية التي هي في جنوبي دمشق قرب القدم.

وهذا الرجل الذي وكلّوه بتصحيح الكتاب كان يرفع الصواب الذي أثبتته كرد علي ويضع الخطأ الذي توهمه هو. والمدرسة الريحانية قديمة أزيلت لما افتتح الشارع الكبير الموصل إلى دار أسعد باشا العظم، وقد عرفتها وأنا صغير. (الطنطاوي ولد سنة ١٣٢٧هـ - ١٩٠٨م توفي سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

وكان القيّم عليها الرجل العجيب صاحب النوادر الشيخ عبد الجليل الدرّة، الخطيب الطلق اللسان، الحاضر الدمعة متى شاء، الذي يبكي في خطبته، ويستبكي الناس عندما يريد.

(٧) الذكريات للطنطاوي ٥/٢٥٩ ط دار المنارة للنشر، السعودية، جدة. وقد تکرّر ذكر «الريحانية» في كتاب الذكريات في ١/١٨٦ و ٥/٢٧٦ و ٢٧٧.

أما قرية الريحانية فليست في جنوبي الشام كما قال هذا المصحح العلامة، بل هي في شماليها قرب دوما التي أمضيت سنين من عمري قاضيا فيها^(٨).
 وأضيفُ أن الجدَّ الشيخ محمد المبارك منشئ مدرسة الريحانية، والشيخ عبد الجليل الدرّة، مدير المدرسة أصدرنا نشرة أعلننا فيها افتتاح المدرسة بتاريخ منتصف شعبان من سنة ١٣٢٤ هـ وكان إصدار النشرة قبل شهر من موعد الافتتاح (أي منتصف رجب من سنة ١٣٢٤ هـ) كما هو واضح في تلك النشرة التي ما زلت أحتفظ بنسخة منها، والتي أثبتُّ صورتها مع هذا التعريف، لأن ما جاء فيها يثبت أن المدرسة ليست على الطريقة القديمة كما جاء في كتاب «علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» بل هي اليوم صالحة للموازنة مع أحدث ما جدَّ من أنظمة الساعات المكتسبة في النظام الفصلي؛ ففي دراسة ليلية تتيح الدراسة لمن يعملون قبل العصر لكسب قوتهم أن يدرسوا ليلاً، كما تتيح ذلك لأصحاب الدراسة النهارية الصباحية. وفيها تنوع في الموادّ والمقرّرات الدراسية من تفسير وحديث وفقه وبلاغة ومنطق ولغة وصرف ونحو وإنشاء وتاريخ، وفيها قراءة وكتابة وحساب، وفيها خطّ

(٨) الذكريات ٢٥٨/٥. وذكر الأستاذ كرد علي في كتابه «غوطة دمشق» قرية أو محلة تسمّى «حوش الريحانية» وقال إنها بين سبينة الصغرى وبيلا، وتكرّر ذكرها في ص ٢٠ و ٢٧ و ٩٦، و ١٠٢ و ١٠٣ بجانب سبينة. وجاء موقعها في «مخطط غوطة دمشق» الذي نشر مع الكتاب بين سبينة الصغرى وبيلا. ولم أجد في «المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري» الذي نشره مركز الدراسات العسكرية بدمشق سنة ١٩٩٢ م قريباً من دوما غير «الريحان» التي قال إنها تبعد عن دوما ٤ كم شرقاً. وأما اسم «الريحانية» فقد تكرر ذكره في المعجم في محافظات حلب واللاذقية وطرطوس وحمص والحسكة والرقّة، ولم يرد له ذكر في الغوطة الشرقية حيث تقع دوما!

و«مسك دفاتر» للحسابات التجارية، وفيها لغة عثمانية وفرنسية وترجمة وهندسة وجغرافية وأخلاق وتوحيد وتجويد وسيرة نبوية، وغيرها.

ويستطيع الطالب أن يجرب الدروس ويتعرف بالمدرّسين مدة ثلاثة أيام قبل التسجيل، كما يستطيع أن يسجل لدراسة مقرّر واحد أو أكثر، بحسب رغبته، وبحسب تفرّغه، ولكل مقرّر ثمنه، والدفع في أول كل شهر. وقد فصلت النشرة بعد ذلك بذكر المقرّرات وأسماء المعلمين، ليكون الطالب على علم بكل ما سيلقاه في المدرسة.

وهذه الوثيقة التاريخية لما يمض على ما تثبتته غير مئة وعشر سنوات، ومع ذلك حاشيةً بكلمتين نسفته من التاريخ، لأن المحقق كتب من عقله معتمداً ما يعرف دون تحقيق، ولأن المراجع اكتفى بالمطابقة على ما جاء في «التحقيق» فأتى لنا بعد ذلك أن نثق بما هو أقدم من ذلك في تراثنا ولو كتب الناشرون المحدثون أنهم حقّقوا وراجعوا؟!!

المعاصرُونَ

لطف

عني بشره وتحقيقه
محمد كرد علي

علق عليه وأشرف على طبعه
محمد المصري

مراجع هذه الطبعة
أ.د. محمد مكي الحسني الجزائري
أمين المجمع

تاريخ افتتاح النهضة العلمية الليلية

هي المعالي وهذا كنز عرفان * فكن أبا الجسد في حب العلي فاني
فالعلم والمجد شي واحد فإذا * جنيت زهر المعاني فزت بالثاني
وهذه روضة الآداب دانية * قطوف أذواحها يا صاح للجاني
تسرى بلابلها نادت مؤرخة * نور الدروس جلا في نصف شعبان

٢٥٦ ٣٠١ ٣٤ ٩٠ ٢٢٠ ٤٢٣

سنة ١٣٢٤

✽ ملحمة ✽

قد اكتفينا بنشر جريدة الإقبال الغراء تفصيل مسالك النهضة النهارية بعدد ١٦٥
وعدد ١٦٧ عن نشرها بهذه المقدمة على أننا سنتبع اللائحة بالمقدمة مبسوطه بما يتعلق
بالمشروع المبارك الجليل الذي هو خدمة للدين وقربي لرب العالمين

تنبيه

تقبل المدرسة دخول الطلاب إلى ثلاثة أشهر لتعبية الأقسام
الأربعة ثم بعدها لا يقبل إلا على رأس كل ثلاثة أشهر





لئن أخنى الزمان على عكاظ * فأمسى وهو مندرس النواحي
 فقد أضحى بمدرسة النجاح * رفيع الذكر مزدان المراح
 زها ريحانها ولذا تسمى * بريحانية العرفان صاح
 لقد قام العلي فينا خطيباً * وقال العلم حيّ على الفلاح
 نهضة علمية * نهارية لييلية

في المدرسة الريحانية

فن طاب العلي سحر الليالي * وطأق لذة الراحة بتا

مقدمة لائحة المشروع المياريك الجليل

نعرض لرجال الفضل * ومعجم المعارف

إننا لأرأينا لشبان العصر الحميد والسعيد وناشئته في حاجة شديدة لاقتناء العلوم والفنون *
 وذلك لتترق المعارف والتجارة في ظل ملكنا الأعظم * أنا فأننا وحيثنا فحيناً * شرعنا متكئين
 على الله * وطالبين المعونة والتوفيق * بتوسيع دائرة تعليم الفنون العصرية * والعلوم العربية *
 يوم الأربعاء منتصف شهر الله رجب سنة ١٣٢٤ في مدرستنا الريحانية * الكائنة بجوار
 نورالدين الشهيد * قدس الله سره العزيز وكان ذلك بحضور أسرة من أعيان الأمراء وأفاضل
 العلماء * وقد عرضنا على أسماعهم الكريمة المشايخ التي اخترناها * والمسالك التي رتبناها * على النموذج

جديد * وطرز حميد *

* النهضة العلمية الملية * ولما تحققنا ما نتج عن تنظيم هذه المسالك من الفوائد
 الجمة * والعوائد المهمة * أحببنا أن نعم الفائدة بفرع ليلي لشبان العصر الزاهر وفتيانهم يتعلمون فيه

أنواع العلوم والفنون * على نفع قويم سهل المنال بديع المثال بما يعود عليهم بإصلاح معاشهم ومعادهم * مفتحين ذلك ليلة الأربعاء من منتصف شهر شعبان المعظم تيناً وتبركاً بأنوار هذه الليلة المباركة التي يفرق كل أمر حكيم * وقد جعلنا مدة الدروس الليلية من الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة ماعدا ليلتي الجمعة والإثنين * ومن أراد الاقتصار على الساعة الأولى أو الثانية أو الثالثة فلا بأس بذلك * فكأننا قسمنا مسالك القسم النهاري إلى أربعة كذلك جعلنا لطلاب الفرع الليالي أربعة أقسام

✽ القسم الأول ✽

يدرس فيه علم أصول التفسير * وأصول الحديث * وأصول الفقه وعلوم البلاغة والعلوم العقلية المعاني والبيان والبديع والمنطق * وعلوم العربية الصرف والنحو واللغة وقرض الشعر والأشعار والتاريخ

✽ القسم الثاني ✽

معين لإتقان القراءة والكتابة والإملاء والحساب * وحسن الخط ومسك الدفاتر الاعتيادية

✽ القسم الثالث ✽

تدرس فيه اللغة العثمانية * مفردات ومكالمات وقراءة وإملاء ونحو وصرف وترجمة وتاريخ

✽ القسم الرابع ✽

تدرس فيه اللغة الفرنسية * مفردات ومكالمات وقراءة وإملاء ونحو وصرف وترجمة وتاريخ

ومن رغب بتعليم طريقة مسك الدفاتر التجارية العالية المعروفة (بالدوبيا) فليخبر مدير المدرسة حيث أرجأنا تعيين معلم لها ينما يجتمع قسم من الطلاب يقومون براتب المعلم

وجميع ما يدرس ليلاً يدرس نهاراً مع زيادة فن الجغرافية والهندسة والكسر الجادي والاعشاري وما يلزم الناشئة من التوحيد والتجويد والسيرة النبوية وعلم الأخلاق * والتدريب على القراءة العربية بالخطب والمقامات وغيره * مما يتعلق بعضه ببعض

✽ الراتب الشهري ✽

وقد جعلنا راتب كل شهر ريالاً مجيداً سلفاً يدفع على رأس كل شهر بعد الاطلاع على طريقة

التعليم ثلاثة أيام لا غير * ومن أراد الاقتصار على تعليم ساعة واحدة كل ليلة لأخذ علم من العلوم العربية * فنصف مجيدي وقد اخترنا للنهضة العلمية النهارية والليلية مهرة المعلمين الذين دأبهم بث المعارف * ونشر اللطائف * وإليك بيان أسمائهم

عمدة المعلمين

أستاذ علم أصول التفسير والأخلاق
 أستاذ علم أصول الحديث والفقه
 أستاذ علوم البلاغة والعلوم العقلية
 أستاذ علم التجويد والتفريغ
 العالم الحافظ أُوحد القراء الشيخ عبدالله أفندي المنجد
 معلم علم التوحيد والسيرة النبوية * والخطب العربية
 معلم العلوم العربية * وعلم الفقه والحساب العالم الفاضل المحقق الشيخ خير أفندي الطباع
 معلم اللغة العربية * والمقامات الحريرية النابغة اللغوي المدقق الشيخ عبدالقادر أفندي المبارك
 معلم اللغة العثمانية * أحد ما ذوفي المكتب الملكي
 معلم اللغة الفرنسية * أحد ما ذوفي المكتب الحربي الشاهاني رفعتو محمد سعيد أفندي المراد
 معلم حسن الخط * الخطاط الشهير
 هذه عمدة المعلمين . أعدا معلمي القسم المتدي والمتوسط * ومتى . مست الحاجة لزيادة معلمين
 تقدمها بقدر الزوم ~~XXX~~ هذا ما أردنا عرضه على أسمع إخواننا الدمشقين خصوصا *
 ومحبي العلوم والمعارف عموما * وفقنا الله لإتمام هذا المشروع العظيم بما قصدناه ورجواناه * مع
 الصدق في العزيمة * والتوفيق في الرشد * والله المعين وعليه التكلان

رئيس المدرسة

مدير المدرسة

في ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

محمد بن محمد

عبدالجليل

المبارك

الذرا